



الميلاد يرسم البسمة على وجوه الناس ويشعرهم ببهجة الأعياد

«الكيرميس والبازار» من طقوس الميلاد السنوية



مايا سلامي

تستعد دمشق لاستقبال أعياد الميلاد ورأس السنة بالرغم من الظروف الصعبة التي يعيشها السوريون اليوم فقد وجدت متسعا للفرح والبهجة، وتكثرت بعض منازلها وشوارعها بالزينة والأضواء التي تبعث الدفء والطمأنينة وتنتشر السلام والمحبة للذين لطالما كانوا رسالة السيد المسيح.

وعاداتها تتحضر الكنائس لهذه الأعياد المجيدة بإقامة طقوسها السنوية الكيرميس والبازار الخيري الذي تنظمه كشافاتها، ويتضمن معرضاً لعدد من الصناعات اليدوية التي يتابع بمبالغ رمزية يعود ريعها لمصلحة الكنيسة من أجل دعم الفقراء والمحتاجين، إضافة إلى ألعاب ومسابقات للأطفال ترسم البسمة على وجوههم وتشعرهم بروح الميلاد وبهجة العيد.

«الوطن» زارت كنيسة سلطنة العالم في منطقة باب توما بمدى لتفحص هذه الأجواء:

إقبال كبير

قال قائد كشاف أسرة المحبة جوني تكزي:

تحت عنوان «غنية سلام» أحيا كورال حلم وحنن فبثت العزيمة المختلفة أسمايات الميلادية لهذا العمل التي جالت عروضا مسرح طرطوس وصافيتا واللاذقية وحمص، وقدم خلالها باقة متنوعة من الأغنيات الكلاسيكية والوطنية والترانيم الميلادية بالإضافة إلى أغان من التراث الفلسطيني حملت في طياتها رسائل سلام ومحبة لأهالي وأطفال غزة.

استمرارية الحياة

وفي تصريح خاص لـ«الوطن» قالت مديرة ومؤسسة الكورال د. نهي بشور: «أحبنا في هذا الحفل برنامجنا السنوي الذي اعتدنا أن نقدمه في مثل هذا الوقت من كل عام حيث يتزامن فيه أول حفل قام به الكورال منذ ١٥ سنة مع فترة الأعياد المجيدة، وفي كل سنة تكون الظروف أصعب من السابق لكن مع ذلك قررنا أن نستمر لأن كل إنسان يقاوم من مكانه واستمرارية الحياة هي أكبر مقاووم تجاه قذلة الحياة».

وأضافت: «نحن نملأ أي إنسان لديه الحد الأدنى من الشعور الإنساني تناثر وتعاطف مع المصاب الكارثي والألم الذي يحدث بغزة، لكن أحببنا أن

الأجواء الميلادية

وقال المشارك من «جوقة الفرح» إلياس صومط: «في ظل الظروف الصعبة التي نمر بها في هذه السنة لم نحبي حفلنا السنوي في دار الأوبرا، لكن أحببنا أن ننشر الأجواء الميلادية عبر إقامة حفلات مواضعة في ست كنائس في تمام الساعة السابعة حيث توزعنا في عدة مجموعات لتتزامن جميعها في توقيت واحد، وستقدم خلالها بعض الأغاني اللطيفة والترانيم الميلادية لجعل الأطفال والكبار يعيشون أجواء العيد والميلاد الجديد».

أعمال يدوية

وبينت السيدة كارين شمالي أنها تشارك في البازار الخيري بأعمال يدوية صنعتها بنفسها، موهبة عادة ما يحبون منتجاتي لذلك أردت الحضور هنا تعرفك على أناس جدد وبضائع ومنتجات مميزة وجميعهم يشعرون وكأنهم أسرة واحدة تعيش أجواء التحضيرات لاستقبال العيد.

«غنية سلام» في أمسيات ميلادية

وأوضحت أن الكورال عمره أكثر من ١٥ سنة وتأسس في منطقة بعيدة عن دمشق وهذا الشيء يحد ذاته يصور الصعوبات التي يواجهها ليبقى بمستوى أفضل عن طريق الاستفادة من الخبرات المتاحة، مؤكدة أن إدارة الكورال بذلت جهداً كبيراً باستيراد الخبرات والقيام بورشات عمل لجميع أعضاء الكورال.

عن الكورال

تأسس كورال «حلم» للأطفال و«حنن» للكبار عام ٢٠٠٨ ويضم حالياً ٩٠ مغنياً ومغنية مقسمين إلى أربع مجموعات بحسب فئاتهم العمرية. ويعتمد الكورال على أسس أكاديمية مبنية على التوزيع الهارموني متعدد الأصوات بإشراف أساتذة مختصين ليواصله إلى مستوى عال.

وأوضح السيد عماد عوض أن المشاركة في هذا البازار جميلة جداً وهو بالنهاية سوق خيري

ليدي دوميظ

بقي السوريون محافظين على عاداتهم وتقاليدهم وترانيم الميلادي لأنه يعتبر فترة وجزءاً مهماً من السنة أي «زمن الميلاد» ينتظره كل كبير وصغير وما يحمله من فرح وسلام ملء بالبهجة والزينة والشجرة المضيئة والأجواء المميزة في كل بيت وشوارع وحي، زمن يوحد جميع السوريين فيتشاركون الفرح والمحبة والمساعدة، يتبادلون المعايدات والصور التذكارية، المأكولات التقليدية فالجميع يتجول في الشوارع التي تملؤها حبال الزينة المضاء مع الترانيم الموسيقية وصوت أجراس بابا نويل في كل مكان.

لا يوجد تاريخ محدد لوضع زينة الميلاد لكن من الشوارع والأماكن العامة والخاصة والساحات والمحال التجارية والطعام ومن ضمن العادات المتوارثة تزيين بالونين «الأحمر والأخضر» مع إكاثنية إدخال الذهبى والأبيض اللذين يعتبران إشارة إلى عيد الميلاد.

تزامن عيد الميلاد منذ زمن بعيد بظهور العديد من الأناشيد والترانيم الموسيقي والألحان الميلادية التي تركت أثراً يتذكره المتلقي عند سماع أي منهن وخلال هذه الفترة يقام الكثير من الحفلات وتكون من الصنوبر أو السرو أو السنديان وتلحق بها المغارة وهي جزء أساسي ودليل على مكان ولادة



الأخضر يرمز إلى «الحياة الأبدية والتجدد»، أما الأصفر فيرمز إلى «الحب والدفء» ويتم وضع حبال الإضاءة والكرات والخضراء على الشجرة وهي دليل على «شجرة الحياة والولادة الجديدة» وتكون من الصنوبر أو السرو أو السنديان وتلحق بها المغارة وهي جزء أساسي ودليل على مكان ولادة



السيد المسيح» إضافة إلى الأجراس والتلح وأكاليل أغصان دائمة الخضرة توضع على أبواب المنازل والشموع والملائكة والنجمة ووجود بابا نويل من أكثر الأشياء التي ينتظرها الكبير والصغير حيث عرف بالتقاليد المتوارثة والشعبية أنه يأتي محملاً بالهدايا والأمنيات.

لا يوجد تاريخ محدد لوضع زينة الميلاد لكن من الشوارع والأماكن العامة والخاصة والساحات والمحال التجارية والطعام ومن ضمن العادات المتوارثة تزيين بالونين «الأحمر والأخضر» مع إكاثنية إدخال الذهبى والأبيض اللذين يعتبران إشارة إلى عيد الميلاد.

تزامن عيد الميلاد منذ زمن بعيد بظهور العديد من الأناشيد والترانيم الموسيقي والألحان الميلادية التي تركت أثراً يتذكره المتلقي عند سماع أي منهن وخلال هذه الفترة يقام الكثير من الحفلات وتكون من الصنوبر أو السرو أو السنديان وتلحق بها المغارة وهي جزء أساسي ودليل على مكان ولادة

السيد المسيح» إضافة إلى الأجراس والتلح وأكاليل أغصان دائمة الخضرة توضع على أبواب المنازل والشموع والملائكة والنجمة ووجود بابا نويل من أكثر الأشياء التي ينتظرها الكبير والصغير حيث عرف بالتقاليد المتوارثة والشعبية أنه يأتي محملاً بالهدايا والأمنيات.



بالفرنسي ثم الأجنبي وإضافة إلى ذلك تنتشر هذه الأغاني والموسيقى مبهجة من العديد من المحال التجارية والمطاعم والمقاهي بأصوات مرتفعة يسمعها جميع المارة ويعتبر هذا تقليداً أساسياً لدى الشارع السوري.

تعتبر مائدة عيد الميلاد جزءاً لا يتجزأ عند جميع العائلات سواء عشاء منتصف ليلة الميلاد أم مائدة غداء يوم العيد فتجتمع العائلات والأقارب والأصدقاء ويحضرون مختلف الأصناف والأنواع والمأكولات الشرقية والغربية، فالصنف الأساسي على مائدة أغلب العائلات هو «الدجاج المحشى والأرز، المحاشي، الديك الرومي ومن ثم الكبة والمقبلات الشرقية».

إضافة إلى صنع الحلوى العربية التقليدية والمتوارثة مثل، معمول النمر ومعمول الجوز والفستق وقطع الحلوى والشوكولا ذات أشكال

ميلادية مثل «شجرة، جرس، نجمة» وتكون باللونين الأحمر والأخضر مع كعكة عيد الميلاد وهي تكون على شكل جذع شجرة مزين بالحبوبات الملونة وجوز الهند.

بطاقات المعايدة

تعد المعايدات سواء كانت مكالمات أم رسائل نصية أو بشكل شخصي جزءاً أساسياً في العيد ومن ثم يقوم الأقارب والأهل والعائلات والجيران بزيارة بعضهم البعض لتبادل التهاني وتلقي المعايدات فيتشاركون الفرح والأجواء معاً، لكن قديماً كانوا يتبادلون المعايدات عن طريق بطاقات بريدية تحمل صوراً ذات طابع من وحي الميلاد مثل «شجرة، رجل تلح، كرات حمر» وإرسالها من منطقة لمنطقة أخرى من أجل تلقي وإرسال التهني الورفية لأنها كانت تعتبر تراثاً قديماً متناقلاً وتبقى تبقى ذكرى كانت تتراقف برسالة قصيرة وتبادل التحيات مع صلاة معبئة وبعض الأمنيات للعام الجديد، لكن مع ظهور الإنترنت ألغيت هذه العادات واقتصرت على المعايدات الإلكترونية.

تبادل الهدايا

بعد شراء وتبادل الهدايا من الجوانب المهمة باحتفال عيد الميلاد فيقوم أفراد العائلة بشرائها وتزيينها ومن ثم تبادلها ليلة الميلاد.

ارتبطت هذه العادة بالقدوس «قولاً أو نيكولاس» المعروف باسم «بابا نويل»، فيعود هذا الارتباط بأنه كان يقوم بتوزيع الهدايا والملابس والطعام دون أن يعرف أحد به، فتجسدت صورة الميلا «بابا نويل، الحمال أي رجل ذي لحية بيضاء وملابس حمراء قادم على عربة تجرها غزال من جميع أنحاء البلاد محملاً بالهدايا فيدخل إلى المنازل من المدفأة فيضع الهدايا بعد منتصف ليلة الميلاد حيث تعود القصة لمئات السنين أي أن الأطفال يتكئون أمامهم ومطلبهم يضعونها تحت الشجرة ليستيقظوا في صباح العيد ويجدوا الهدايا ويتبادلونها مع بعضهم البعض بفرح وسعادة.

بين الشجرة الصنوبرية والهدايا والترانيم

وبناء على ذلك باتت ظاهرة تبادل الهدايا شائعة في هذه المناسبة.

ترانيم خاصة

معظم البيوت تحتفل بترديد بعض الأغاني والاستماع إلى بعض الترانيم، فهي تتصف بإيقاع معين يجبه الناس، وهناك عدد لا يستهان به من الأغاني الكنسية والترانيم لما لهذا اليوم من أهمية كبيرة وقدسية عالية لدى الكنيسة والمجتمع، وبعد أفراهم السرياني أول من وضع قصائد وترانيم وأشعاراً لعيد الميلاد حتى لقبه البعض بشاعر الميلاد، وهي أغان تأخذ معنى لاموتياً وتتطرق إلى التصور الإنجيلي، وكذلك لا بد أن نستذكر هنا بعض أغاني فيروز التي أصدرتها ضمن ألبومها ١٩٩٢ مقدمة من خلاله مجموعة من الترانيم بالحنان عالية صوحوبة بلكلمات عربية.

رموز ومظاهر متنوعة

تبادل الهدايا يعد شيئاً أساسياً في الميلاد، ويعتبر موسماً تجارياً مهماً، وقد جاءت فكرته كما أسلفنا من القديس نيقولاس أسقف الذي اعتاد توزيع الهدايا والمساعدات للمحتاجين والأطفال. وفي الأعياد أيضاً لا بد من شيء يبعث على الفرح وبت روح البهجة ومن أجل ذلك يستعان بالجرس الذي يبشر بقدوم العيد، كما يوجد أكليل من الورد على أبواب ومدخل المنازل، فهو يرمز إلى خلود الحب الإلهي ويؤكد على أنه عصي على الانتهاء أو الإندثار، ومن رموز الاحتفال أيضاً النجمة التي تشير إلى نجمة بيت لحم التي توضع أعلى شجرة الميلاد، كما يضع المحفلون مغارة أسفل الشجرة تشير إلى المكان الذي ولد فيه السيد المسيح، وقد كان في وقت سابق يتم وضع الشموع للدلالة على الاحتفال ولكن مع اختراع الكهرباء على يد توماس اديسون قام صديقه اوارد جونسون بوضع شريط يحتوي على ٨٠ لمبة ملونة بالأبيض والأحمر والأزرق على شجرة الميلاد في شنته، وبذلك تم استبدال الشموع بجعل الأضواء الملونة ١٨٨٢، وتحولت طقوس الاحتفال إلى عادة اجتماعية ولم تقتصر مظاهره على الاحتفال في البيوت فقط بل تجاوزتها إلى الشوارع والحارات والأماكن العامة والسوق التجارية وغيرها.

